

محاضرة فنية أكاديمية: "البيئة المصرية القديمة وأثرها في طبيعة الفنون"

المقدمة: مصر – هبة النيل وحضارة الاستقرار

لا يمكن فهم الفنون المصرية القديمة دون تقدير واسع لتأثير البيئة الطبيعية عليها. إن أهم العوامل التي أثرت في الفن وشخصية الفنان المصري هي:

١. الموقع الجغرافي: تقع مصر في الجانب الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا.

٢. وادي النيل: النهر العظيم الذي يمثل عصب الحياة، والمحاط بالصحراء.

٣. الاستقرار البيئي: تميزت مصر باستقرار بيئي جغرافي منذ أزمان قديمة (عصر البلايستوسين)، مما ساهم في ثبات واستمرارية الفن.

• وإن أبرز ما يميز مصر في جغرافيتها هو نهرها العظيم النيل، فهو عصب الحياة وعلة وجودها وبقائها، ولولاه لكانت جزءًا من الصحراء، وهو فوق ذلك يربط بين بلادها ويذوب بين أجزائه ويخفف من حدة الفروق بين أطرافها بحيث يصح القول أن مصر هبة النيل، وهي قَطْر قليل المطر بوجه أساسي، ويكون النيل وما على جانبيه من الأراضي الخصبة



• ومن الأمور المهمة الأخرى التي تفيدنا معرفتها في فهم حالة الفن المصري القديم هي سلامة قطعها الفنية القديمة الخالدة، فكثيراً ما توصف هذه الحضارة بأنها حضارة الموت والموتى لأن معظم نماذجها الفنية قد عُثر عليها في القبور سواء ما كان منها القبور الملكية والمعابد الخاصة بها أو في قبور عامة الناس. وثمة سبب مهم لبقاء وسلامة قطع الفنية وكثرتها ذا سبب اهتمام المصريين القدماء بالحياة الأخرى بعد الموت، ذلك هو أن المصريين الذين استوطنوا وادي النيل الضيق قد اتخذوا حافة الصحراء لدفن موتاهم وإيداع ما يحتاجون إليه في العالم الآخر في قبورهم، في حين أنهم اقتصدوا في الأراضي الزراعية على الزرع والسكن، وسلمت بذلك قبورهم وما أودع بها من قطع فنية بسبب جفاف تربة الصحراء المصرية. أما النماذج الفنية التي تُركت في بيوت السكنى فقد أصابها البلى بسبب رطوبة التربة قرب النهر.

• كما أن معظم القطع الفنية المصرية القديمة قد تم اكتشافها في مصر العليا (الصعيد) ذات الرمال الجافة المحافظة على القطع الفنية، في حين أن القطع الفنية من مصر السفلى (الدلتا) تكاد تكون معدومة ومصادر تاريخها مأخوذة تقريباً من مصر العليا.



- "ومن الأمور التي تمت بصلة قوية لبيئة مصر الطبيعية هم سكان مصر القدماء ويتألفون بالدرجة الأولى من أصل أفريقي مثل الجماعات (السمر) التي تقطن القسم الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا، وهم من الحاميين القريبين من الأقوام السامية، وتوجد عناصر أيضاً من الأقوام الجنوبية كالأحباش والزنج والنبط الغالب عليهم بوجه عامة عرق البحر المتوسط. بالإضافة إلى هجرة سامية مهمة قد دخلت مصر في الألف الرابع قبل الميلاد، واختلطت بالسكان الأصليين وتكون من ذلك المصريون كما نعرفهم في التاريخ.
- كما أن اللغة المصرية القديمة هي من كتلة اللغات الحامية والتي ترجع من اللغة السامية



- ٣. البيئة ومصادر المواد الخام:
- • وادي النيل والدلتا (البيئة الرطبة): وفر الطمي لصناعة الفخار والطوب اللبن المستخدم في بناء المنازل والمنشآت غير الجنائزية.
- • وادي الرافدين (الصحراء): وفر الأحجار الصلبة (كالجرانيت والبازلت والديوريت) والذهب والمعادن التي استخدمت في بناء المعابد والمقابر والتماثيل الجنائزية، لضمان الخلود.

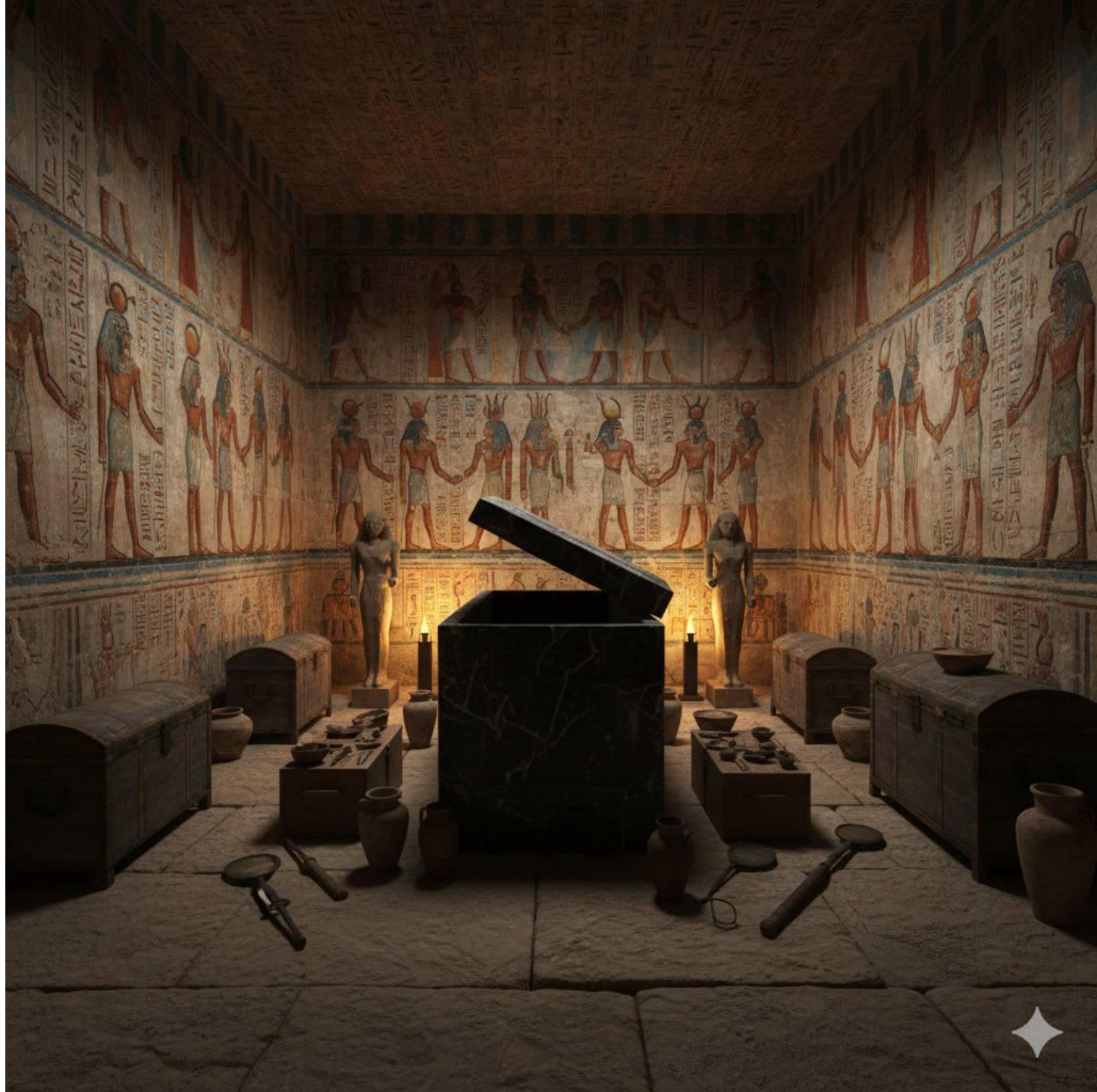


- ٤. المناخ الجاف والحفاظ على الآثار:
- إن المناخ الصحراوي الجاف كان السبب الأهم في حفظ الفنون المصرية:
- • بقي الكثير من الرسومات والأخشاب والمنسوجات والألوان محفوظة لآلاف السنين في المقابر.
- • على النقيض، فإن الفنون التي تُركت في بيوت السكن القريبة من النيل (الدلتا والمناطق الرطبة) تدهورت وتآكلت



- المحور الثالث: تأثير عقيدة الخلود على المواد والمنشآت الفنية
- كان للبيئة دور حاسم في ربط الفن بالعقيدة الجنائزية:
- ١. فكرة الخلود وسلامة القبور:
- شعر المصريون القدماء بأن عليهم تخليد نماذج فنية للمتوفى لاستمرار الحياة . لذا، كانت المنشآت تُبنى لتكون صامدة للأبد:
- • قبور الصعيد (مصر العليا): كانت معظم القطع الفنية الهامة تُكتشف في صحراء مصر العليا، لأنها كانت بيئة جافة وبعيدة عن عوامل التعرية.
- • قبور الدلتا (مصر السفلى): القبور والمواد الفنية في الدلتا لم تبقى بنفس الجودة بسبب رطوبة تربة النيل وتقلبها، مما أدى إلى تلفها وتدهورها.

- ٢. الفن للقبور وليس لعامة الناس:
- معظم الفنون العظيمة التي وصلتنا (منحوتات، جداريات، كنوز) كانت مخصصة للقبور أو المعابد، وليس للاستخدام اليومي أو العرض العام، وذلك لضمان بقاء المتوفى.
- • كان الفن المصري القديم هو "فن المقابر" لأنه المكان الذي ضمنت فيه البيئة الجافة خلود أعمالهم



- إن الفن المصري القديم ليس سوى انعكاس مباشر ودائم لبيئته الجغرافية:

- • ثبات الشكل ← مستمد من استقرار النيل وقوة الصحراء.
- • مواد الصلابة ← مستمدة من محاجر الصحراء (للخلود).
- • وحدة الطراز ← مستمدة من وحدة الشريط الضيق لوادي النيل.

- لقد وفّرت البيئة المصرية القديمة للفنان المواد، وأملت عليه الأسلوب، والأهم من ذلك، ضمنت له البقاء على مر العصور.